تراثنا .. كيف نحافظ عليه ونطوره	د. عبدالعزيز سفر

نسمع ونقرأ من فترة إلى أخرى كلاماً كثيراً حول اللغة العربية والتراث العربي الإسلامي، وأنه لا تطوير للدين واللغة العربية إلا بقطع الصلة مع التراث، وأنه لم يتم تجديد المعاجم والقواميس بالمصطلحات الحديثة، سواء كان ذلك في كتب أم مقالات تظير بين الفينة والأخرى، وهي في الواقع وجهات نظر موضع التقدير والاحترام، لكنها من جانب آخر موضع دراسة ونقاش؛ لأن المسألة خطيرة جداً وبخاصة أنها تتعلق بموروث ضخم يتعلق بعلوم شتى منها اللغة العربية والدين الإسلامي وقبل الدخول في مناقشة هذه القضية هناك عدة أمور نبدأ بها نقاشنا وهي:

١- إن من حق أية أمة أن تفخر بتراثها وماضيها، وأن تحنّ إليه وتتمسك به، فما بالك بتراثنا العربي الإسلامي الخالد الذي شمل علوماً شتى أحاطت بحاجة الإنسان، ودرستها دراسة فاحصة متأنية، ووضعت لها حلولاً علمية قائمة على الاستقراء الدقيق، والفحص الشمولي، والدراسة العلمية الجادة وصولاً إلى وضع ذلك في مؤلفات وإبداعات تغنى بها العالم أجمع، وأبدى إعجابه بها، ومازالت محل اهتمامها ودراستها، وشملت علوماً شتى كالتاريخ والجغرافيا وعلم الاجتماع والفلسفة والتراجم والطب والكيمياء والجبر والهندسة والموسيقا وعلوم اللغة المختلفة والعلوم المتعلقة بالدين كالأصول والتفسير

والعقيـــــدة والســـــيرة والفقـــــه وغيرهـــــا.

وللعلم فإن كثيراً مما ورد عند كبار لغويي الغرب إنما هو مستمد من الكتاب لسيبويه، كما أن نظرية الدائرة العروضية للخليل بن أحمـــد الفراهيدي والطريقة المبدعة في تناول الكلمـــات المعجميـــة حســـب تدوير الكلمة كما في معجم تهذيب اللغة للأزهري ما زالـــت محـــل الإعجاب والنظر أضف إلى ذلك نظرية النظم الخالدة للبلاغي اللغوي عبد القاهر الجرجاني التي ربط بها النحو والبلاغة ربطاً عجيباً كانت من الركائز الأساسية للأسلوبين والحداثيين.

٢- هذه الدعاوى التي نقرأها ونسمعها ليست بجديدة فقد تكلم بها كثيرون منذ فترة طويلة ممن أرادوا التجديد عن طريـــق محاربـــة الـــتراث اللغوي والديني، وكانت هذه الدعاوى وما تزال تحمل فـــي طياتـــها دعاوى التفرقة والبعد عن التراث، والدعوة إلى الإقليمية اللغوية عن طريق إحياء اللهجات المحلية والتركيز عليها. وظهرت في كثير من الدول العربية من فترة إلى أخرى، وكانت تهدف في نهاية المطـــاف إلى إبعاد اللغة العربية عن القرآن الكريم والدراسات اللغوية المتصلة به.

٣- تمتاز اللغة العربية بفروعها المختلفة أنها متماسكة تماسكاً لا يقبـــل الانفكاك، ومشدودة بعضها ببعضها الأخرى بطريقة فريدة، وحكمة لا يعرفها إلا العارفون بدقائقها وأسرارها وهي متصلة بأصولها الثابتـــة اتصالاً وثيقاً، فالقواعد النحوية والصرفيـــة والإملائيـــة والبلاغيـــة والصوتية لا يمكن فك ارتباطها عن أصولها بأي حال من الأحوال.

٤- نحن مع التطوير، ومن قال إن اللغة العربية جامدة غير متطـــورة؟ وبنظرة سريعة إلى الدراسات المنشورة كتباً وبحثاً نرى بأن مجالات اللغة قد تطورت كثيراً، وكذلك بنظرة سريعة إلى الرسائل العلمية في الجامعات العربية نرى أن الموضوعـــات المتناولـــة فـــي البحـــث والدراسة قد تطورت كثيراً، وشملت فروع اللغـــة المختلفـــة ســـواء بطريقة التناول الفكري، أم أسلوب الطرح والمناقشة، أم النتائج التـــي يتم الوصول إليها.

٥- لم يقف أحد من أهل الاختصاص ضد التطور الذي نراه فـــي عـــالم المعاجم المختلفة ، أو الدراسات الخاصة باللسانيات وعلم الأســـلوب، ولكن نقف بكل قوة وحزم أمام أي تيار يحاول ضـــرب اللغـــة فـــي صميمها، أو قطعها عن أصولها، فتلك دعاوى باطلة في نظرنـــا؛ لأن هدفها ضرب اللغة العربية التي هي لغة القرآن الكريم.

٦- من قال إن المعاجم اللغوية العربية لم تتطور، ولم تكن محل اهتمـــام الباحثين أهل الاختصاص ؟ فمن أولويات المهام المنوطـــة بمجـــامع اللغة العربية في كل من القاهرة ودمشق وبغداد وعمّان هي شـــمول علم المعاجم برعايتها الفائقة، وكان من آثرها ظهور المعجم الوســـيط لمجمع اللغة العربية بالقاهرة وقد طبع عدة مرات، وأُدخل عليه كثير من التعديلات، وبخاصة فيما يتعلق بأمور الحياة اليومية، كما ظهرت معاجم لغوية تتناول الأدوات والمفردات البيئية الخاصة كما نرى في المعجم الوجيز والمنجد وغيرهما.

٧- ارتباط الدراسات النحوية واللغوية بالقرآن الكريم هذا الارتباط المقدس، جعل من أخطر الأمور مس هذا الجانب، فأغلب من تناول هذه الدراسات اللغوية القرآنية هم في الأصل لغويون نحاة كما نرى في معاني القرآن للفراء، ومعاني القرآن للأخفش الأوسط (سعيد بن مسعدة)، وإعراب القرآن المنسوب للزجاج وإعراب القرآن للنحاس، والمحتسب في القراءات الشاذة لابن جني، بل إن كثيراً من كتب التفسير قد اعتمد في تفسيره على النحو واللغة كما نرى في تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، وتفسير القرطبي والتبيان للطوسي.

٨- لو نظرنا نظرة متفحصة للتراث النحوي لرأيناه مرتبطاً بالآيات القرآنية ارتباطاً لا يقبل الانفكاك والتحرر بدءاً من الكتاب لسيبويه وانتهاء بكتب ابن هشام الأنصاري وابن عقيل وشراح الألفية مروراً بكتب المبرد وأبي علي الفارس والزمخشري ، بل إن كثيراً من المسائل الكلامية والفقهية إنما تستنبط من التوجيه النحوي للمسألة.

٩- لا يختلف اثنان أن هناك فرقاً بين علوم اللغة الخاصة بأهل الفن والاختصاص من خلافات وتفريعات، فهذه متروكة لأهل الاختصاص، وهي لمن يريد أن يستزيد من العلم ولا يمكن أن نغلق بابها.

وأما اللغة التي ينبغي أن تدرس في مراحل التعليم المختلفة فيجب أن تكون بمنأى عن هذه الخلافات والتفريعات، لكن هناك أمراً لا يجوز التغاضي عنه ألا وهو التمسك بأصول اللغة وعدم

التهاون ، ومنع المساس بقواعدها، ولماذا نخص دائماً النحو والصرف بالهجوم، وأنهما من العلوم الجافة التي لا تقبل التجديد؟.

والحقيقة أن النحو علم، والصرف علم ولكل علم طبيعته الخاصة به، كما نرى علوما كالرياضيات والأحياء والكيمياء والطب وغيرها وهي علوم مثار الشكوى الدائمة من طلبة العلم.

فلماذا يخص النحو واللغة بهذا الاتهام؟ ولماذا يعد من يتمسك بها بأنه رجعي التفكير؟

والواقع أن من ينظر إلى تراثنا يجده زاخراً بالعلوم والمعارف والمؤلفات حيث قدم لنا القدماء كنوزاً معرفية على أطباق من ذهب، فعلينا احترام هذا التراث والتفاخر به والتمسك بأطرافه، والعمل على تطوير ما نحن عليه بناء على ما وصل إلينا، فمن لا أصل له لا حاضر له ولا مستقبل.

النشأة التاريخية للنحو (بصورة مختصرة):

لم يكن العرب في جاهليتهم بحاجة إلى قواعد نصون ألسنتهم عن الوقوع في الخطأ اللغوي من نحو أو صرف أو اشتقاق؛ لأنهم كانوا يتكلمون بما تمليه عليهم سليقتهم وطبيعتهم ومحيطهم، ولم يكونوا يأخذون اللغة بتعليم ولا إرشاد، فقد نشأوا وهم يعرفون العربية التي يتكلمون بها ويديرون أمور حياتهم، وإن كانت قبائلهم مختلفة، ولهجاتهم متعددة، وكان نزول القرآن الكريم على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حدثاً كبيراً، وإيذاناً بلغة تسودها وحدة التعبير، وكان لهذا الكتاب العظيم دور كبير في

توحيد لهجات العرب، وجعلهم يتمسكون بلغته التي كانت أفصح لغات العرب ولهجاتها قال تعالى: (وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ العَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ المُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ) (١) .

وبنزول القرآن الكريم ومجيء الإسلام خاتم الديانات السماوية خرج العرب من جزيرتهم مبشرين بهذا الدين الجديد، واختلطوا بغيرهم من الأقوام والأمم الذين دخل القرآن الكريم بيئتهم التي لم يكن بها عهدٌ باللغة العربية.

وكانت هذه الفتوحات الإسلامية سبباً إلى أن تتأثر العربية وألسنة الناطقين بها بلغات هذه الأقوام ، فنشأ عن ذلك اللحن وهو الخطأ في التركيب اللغوي نطقاً أو اشتقاقاً. وكادت اللغة تفسد ، وأحس العرب بخطورة هذا الأمر، وبخاصة أن ظاهرة اللحن أصابت اللغة في صميمها، ووصلت خطورتها إلى القرآن الكريم، فهداهم تفكيرهم إلى وضع قواعد تصون ألسنتهم من الخطأ في التراكيب فنشأ علم النحو عن طريق أبي الأسود الدؤلي بإرشاد من الإمام علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه على أرجح الروايات.

فحرصهم على القرآن الكريم بالإضافة إلى اهتمامهم بجمع تراثهم الأدبي والفكري، وضبط لغتهم وتصنيفها على شكل أبواب ليسهل على الناس حفظها والإلمام بها، كل ذلك كان دافعاً لهم لكي

---

(١) سورة الشعراء ١٩٢ - ١٩٥.

يهتموا بلغتهم، وإذا كان القرآن الكريم بكل قراءاته من مناهل اللغة الأساسية، فإن لغة العرب شعراً ونثراً تعد من مصادر اللغة الرئيسية.

فكان أول عمل قام به المهتمون بهذا الأمر رحيلهم إلى البادية موطن اللهجات الفصيحة ليتصلوا بمنابع اللغة حيث لم تختلط ألسنة هؤلاء بغير لغة العرب، وكانت مهمتهم جمعَ الكلمات التي نطق بها العرب وتحديدَ معانيها، وسببَ استخداماتها، وطريقةَ صياغتها، وبذا كانت هذه اللغات واللهجات شعراً ونثراً شواهدَ على قواعد النحو والصرف.

الكتاب لسيبويه:

ما من شك في أن كتاب سيبويه هو الذي أرسى قواعد التأليف في النحو وأقام هذا الصرح الشامخ، ورفع مناره فاهتدى بهديه جميع النحويين الذين جاءوا من بعده حتى يومنا هذا.

يقول المرحوم محمد عبد الخالق عضيمة في مقدمة "شهرة كتاب سيبويه قد بلغت الذروة في النحو، إن من ينظر في كتاب سيبويه ويرى استعراضه للأبنية ليجد العجب العجاب مما يبلغ بكتاب سيبويه الذِّروة في اللغة أيضاً، ومثار العجب ومبعث الفخر كيف استطاع سيبويه أن يحيط بلغات العرب مع كثرتها ووفرة ما فيها من الغريب ، وهو في ريِّق الشباب، وربيع العمر ثم هو فارسي الأصل، تقرأ في كتاب سيبويه فيأخذك البهر ويتملكك الإعجاب حينما نراه يستعرض أبنية العربية بناءً بناءً فينكر أن هذا

البناء قد جاءت عليه الأسماء والصفـــات، وأن ذاك البنـــاء قـــد جـــاءت عليه الأسماء وحدها أو الصفات وحدها، وأن ذلـــك البنـــاء قـــد أهملتـــه العرب فلم نتكلم على نهجـــه " [١].

هكذا يستعرض سيبويه أبنيـــة العربيـــة، وهـــي مئـــون ونحـــن نكابد جهداً ، وتدركنا المشقة في تحصيل بعـــض هـــذه الأمثلـــة، فكيـــف بلغ الجهدُ بمن أحصاها، وقنـــنّ قواعدهـــا وأرســـاها ؟ قـــال الزجـــاج : "إذا تأملت الأمثلة في كتاب سيبويه تبينت أنه أعلـــم النـــاس باللغـــة"[٢].

ثناء العلماء على كتاب سيبويه:

أجمع العلماء على الثناء عليه والإشـــادة بـــه:

١-قال أبو عثمان المازني" مـــن أراد أن يؤلـــف كتابـــاً كبـــيراً فـــي النحو بعد سيبويه فليستح مما أقـــدم عليـــه" [٣] .

٢-قال محمد بن يزيد المبرد: " لم يُعمل كتاب في علـــم مـــن العلـــوم مثل كتـــاب ســـيبويه، وذلـــك أن الكتـــب المصنَّفـــة فـــي العلـــوم الأخرى مضطرة إلى غيرهـــا، وكتـــاب ســـيبويه لا يحتـــاج مـــن فهمه إلى غـــيره " .

٣-كان المبرد يقول لمن أراد أن يقـــرأ عليـــه كتـــاب ســـيبويه: "هـــل ركبت البحر؟" استعظاماً لما فـــي الكتـــاب.

---

(١) فهارس سيبويه (٧ / ٨).

(٢) خزانة الأدب للبغدادى ١٠ / ١٧٩ .

(٣) الخزانة (١/ ١٧٩).

٤-قال أبو جعفر الطبري: سمعت الجرمي يقول: "أنا منذ ثلاثين سنة أُفتي الناس في الفقه من كتاب سيبويه" [١].

طبعات كتاب سيبويه:

- أول طبعة باللغة العربية للكتاب كانت بباريس سنة ١٨٨١م بتحقيق المستشرقين الفرنسيين مع مقدمة باللغة الفرنسية.
- ثم طبع في "كلكتا" عاصمة الهند سنة ١٨٨٧م.
- ثم طبع في القاهرة بالمطبعة الأميرية ببولاق ١٣١٦-١٣١٨ هـ توافق ١٨٩٨-١٩٠٠ ميلادية بنفقة بعض الإيرانيين وهو السيد فرج الله كبشاني الإيراني.

ونلحظ أن المال العربي لم يساهم (بمعنى يشارك) في نفقات كتاب سيبويه إلا أخيراً، قلّت نسخ الكتاب فقام صاحب مكتبة المثنى ببغداد بتصوير الطبعة المصرية ، ثم رأت وزارة الثقافة المصرية أن تطبع الكتاب بتحقيق الأستاذ/ عبد السلام هارون [٢] .

هذه المقدمة رأيتها ضرورية قبل البدء في الحديث عن رأي المستشرقين في هذا التراث.

يقول المستشرق الألماني "يوهان فك" صاحب كتاب "العربية" إن العربية الفصحى لتدين حتى يومنا هذا بمركزها العالمي أساساً لهذه الحقيقة، وهي أنها قد قامت في جميع البلدان

---

(١) المصدر السابق (١ / ١٧٩).

(٢) مقدمة فيارس سيبويه (٢٢ - ٢٣).

العربية، وما عداها من الأقاليم الداخلة في المحيط الإسلامي ، رمزاً لغوياً لوحدة عالم الإسلام في الثقافة والمدنية.

ولقد برهن جبروت التراث العربي النادر الخالد على أنه أقوى من كل محاولة يُقصد بها إلى زحزحة العربية الفصحى عن مقامها المسيطر.

وإذا صدقت البواد ولم تخطئ الدلائل فستحتفظ أيضاً بهذا المقام العتيد من حيث هي لغة المدنية الإسلامية ما بقيت هناك مدنية إسلامية.

ويقول الأستاذ "وليم ره بولك" في تقديمه لكتاب "العربية الفصحى الحديثة" لكاتبه "ستتكيفتش" ترجمة وتعليق الدكتور محمد حسن عبد العزيز: كانت العربية عبر أغلب مراحل تاريخ الشرق الأوسط هي الواسطة التي حملت رسالة الإسلام، وعن طريقها انتقلت من جيل إلى جيل، والإسلام كما يقرر القرآن- دين نزل إلى العرب بلسانهم.

وقد أرسل الله رسله إلى الأمم السابقة بألسنتها، وكانت دراسة اللغة – عبر كل تغيرات التاريخ العربي- تمثل جانباً بالغ الأهمية لأي منهج تعليمي في مدارس العقيدة... والمعرفة الضرورية بهذه الجوانب كالنحو لم تكن نظرياً علاقة الرجل المتعلم فحسب، بل شكلت مادة الطوائف الأدبية المعقدة التي كانت متعة الغوب.

وفي النهاية كان الدين إلى حد بعيد حاملاً للغة كما كانت اللغة معبرة عن الدين.

ويقول "ستتكيفتش" : وقد كان الاختبار الحديث للغة العربية من طبيعة مختلفة، إن هجوم الحضارة الشامل، الحضارة المتطورة غاية التطور، المتنوعة غاية التنوع الحضارة الدخيلة، لم يترك فرصة حتى تكون عملية الاستيعاب بطيئة وطبيعية، إن التحدي الشامل كان ينبغي أن يقابل باستجابة شاملة، وكانت العربية أحسن الحظ -نظرياً على الأقل- بتراثها المعجمي، وبمرونتها الصرفية الواضحة من حيث الاشتقاق مهيئة لمحاربة هذا التحدي بطرق متنوعة [1].

العلاقة بين التراث الإسلامي واللغة العربية :

لا شك أن العلاقة قوية بين اللغة العربية وبشكل خاص نحوها وصرفها وبلاغتها وأصواتها وبين الدراسات المتصلة بالقرآن الكريم حتى غدا النحو وبقية الفروع مادة أساسية عند القائمين على الدراسات الإسلامية، وذلك يتتبع قضاياه، وبحث مسائله، واستخراج أحكامه، بل إنه في أحيان كثيرة يستنبط الحكم الشرعي من فقه وعقيدة من خلال التخريج النحوي للآية القرآنية، لذا فإن اللغة العربية والقرآن الكريم بينهما ترابط مقدس، فالعربية

---

(١) انظر العربية الفصحى الحديثة. ستتكيفتش ترجمة د. محمد حسن عبد العزيز / ٢٦ .

هي لغة القرآن الكريم، ومن ثَـمَّ فـإن الآيـات القرآنيـة هـي مـادة النحو الأولـى.

وبنظرة سريعة للآيات المتداولة فـي الكتـب النحويـة يتضـح لنا مصداق ذلك. وسنمثل ذلـك بكتـاب سـيبويه بوصفـه أولَ كتـاب نحوي وصل إلينا ثم نمثل بكتاب "مغني اللبيب عـن كتـب الأعـاريب" لابن هشام الأنصاري بوصفه أحدَ النحـاة المتـأخرين.

فقـد أورد سـيبويه فـي كتابـه مـا مجموعـه ٤١٥ آيـة قرآنيـة ، و١١١٨ بيـت شـعر، و ٨ أحـاديث شـريفة ، و٢١٢ قبيلة وجماعـة.

بينمـا ورد فـي المغنـي مـا مجموعـه ١٧١٢ آيـة قرآنيـة استخدمها ابن هشـام ٢٧٦٥ مـرة ، وأورد ٧٨ حديثـاً شـريفاً ، و٤٩ مثلاً وقولاً مأثوراً و ١١١٩ بيت شـعر و ٣٤ قبيلـة وجماعـة.

وتدل هذه الإحصائية علـى أن الدراسـات النحويـة والصرفيـة والصوتية مرتبطة بالتراث العربي الإسـلامي ارتباطـاً كبـيراً وكذلـك مرتبطة بالقرآن الكريم ، وهذا في حد ذاته رد قوي علـى مـن يدعـي نسبة النحو إلى غـير العـرب فـي أصلـه، ويـدل كذلـك أن للنحـو شخصيته العربية، نعم قد يكون التأثر في بعض أصـول المـادة ، أمـا جزيئاتها فهي عربية صرفة، وأما النتيجـة الأهـم فتتمثـل فـي أنـه لا انفكاك أبداً بين النحو والقرآن الكريم بل وقف النحـو العربـي ويقـف بقوة أمام الأقاويل المغرضة التي أرادت سوءاً بـالقرآن الكريـم ببيـان أن ببعض آياته لحناً وستقيمه العرب بألسـنتها ، ومـن خـلال التوجيـه

الإعرابي لهذه الآيات الكريمة يتضح زيف هذا الادعاء، حيث وجهها توجيهاً إعرابياً يتفق وأصول العربية مزيلاً مثلَ هذه الاتهامات.

المعاجم العربية قديماً وحديثاً ودورها المهم في اللغة:

المتابع لعلم المعاجم العربية يرى غنى في هذا الجانب قلما نرى له مثيلاً سواء أكان من حيث الكم أم من حيث الكيف فالمعاجم العربية هي في حقيقة الأمر مراجع أساسية ذات صبغة شمولية لعلوم شتى كالنحو والصرف والأدب والبلاغة والأصوات والتراجم والتاريخ وغيرها، وذلك لشموليتها وتوسعها في تناول المعلومة اللغوية، لذلك فقد غدت سمة بارزة في تراثنا العربي، وهي موضع فخر واعتزاز، ومما ينبغي الإشارة إليه هنا أن النظام المعمول به في الكشف عن معاني الكلمات ينقسم إلى ثلاثة أنظمة:

١- النظام الهجائي : وهو الغالب وعليه أغلب المعاجم الآن.

٢- نظام القافية: أي جعل آخر حرف أصلي في الكلمة فصلاً وأول حرف أصلي باباً ، وعلى هذا النظام مجموعة من المعاجم كالقاموس المحيط للفيروز آبادي.

٣- النظام الصوتي: أي جعل أعمق حرف في النطق هو الأساس والباب، وهذا النظام اكتشفه العالم الكبير الخليل بن أحمد الفراهيدي وهو نظام فريد من نوعه، وطور هذا النظام بأن نبحث في مقلوبات الكلمة كما في معجم العين للخليل، وتهذيب

اللغة للأزهري وهي طريقة ذكية تشمل الكلمات بتدويراتها المختلفة.

هذا من جانب، ومن جانب آخر ضمّن الخليل معجمه عدداً كبيراً من الكلمات المعرّبة أخذها اللغويون الخالفون عنه، وتناقلتها حتى يومنا هذا ، وكان الخليل يبيّن معانيها، ويستشهد عليها ن كما كان يفعل [illegible] العربية. وكان غالباً ما يُنهي شرحه ذاكراً أنها من المعرّب أو الدخيل، ولكنه كثيراً ما كان ينسبها إلى لغة بعينها، كما وضع مجموعة قواعد يعرف بها الكلام العربي من غيره من مثل:

١- ليس في العربية كلمة رباعية أو خماسية معراة من حرف الذلاقة، وهي (ر ل ن ف ب م).

٢- لا تجتمع القاف والكاف في كلمة عربية، وكذلك لا تجتمع معهما الجيم نحو : جكق.

٣- ليس في كلام العرب كلمة صدرها (نر) نونها أصلية نحو نرجس ونرمق.

ومعجم العين هو نموذج للمعاجم العربية، وتطرقنا إليه بوصفه أولَ معجم عربي وصل إلينا. وهو يسير على النظام الصوتي الذي ابتكره الخليل نفسه.

هل وقفت جهود العلماء العرب عند الموروث اللغوي؟

في الحقيقة إننا نظلم أنفسنا وتاريخنا وحضارتنا وعقولنا لو قلنا إن الجهود قد توقفت عند الموروث.

وبنظرة سريعة إلى جهود اللغويين المعاصرين ودور المجامع العربية نرى بوضوح الجهد العلمي المبذول في هذا الاتجاه وإن لم تصل إلى حد الموروث، لكن هناك جهوداً بذلت على مستوى المجامع العربية كما نرى في المعجم الوسيط الذي أصدره مجمع اللغة العربية بالقاهرة، أو على مستوى الأفراد كما نرى في المنجد لصبحي حموي وآخرين، والمكنز الكبير للمرحوم الأستاذ الدكتور/ أحمد مختار عمر.

أولاً : المعجم الوسيط: وقد جاء في مقدمته...

دعا المعجم إلى الأخذ بما استقر من ألفاظ الحياة العامة وخطا في سبيل التجديد اللغوي خطوات فسيحة، ففتح باب الوضع للمحدثين، شأنهم في ذلك شأن القدامى سواء بسواء، وعمّم القياس فيما لم يُقس من قبلُ، وأقرّ كثيراً من الألفاظ المولّدة والمعرّبة الحديثة، وشذّد في هجر الحوشي، والغريب [١].

ثانياً : المكنز الكبير: للمرحوم الأستاذ الدكتور أحمد مختار عمر

ويقول في مقدمته مبيناً منهجَه في هذا المعجم: من يستخدم معجمنا يلاحظ أننا ميزنا كلمات كل مجال بمجموعة من الأوصاف

---

(١) انظر المعجم الوسيط الطبعة الرابعة / ص ٢٣.

التصنيفية، وقد وضعنا في اعتبارنا حين التصنيف التمييز بين الأنواع التالية:

١-التمييز بين الرصيد الإيجابي الذي يمكن استخدامه في العصر الحديث، والرصيد السلبي، الذي فقد وجوده في اللغة الحديثة بمستوييها التراثي والحديث.

٢-التمييز بين الرصيد الإيجابي المعاصر، والرصيد الإيجابي التراثي.

٣-التمييز بين الرصيد القرآني عن غيره، نظراً لما للاستعمالات القرآنية من قيمة خاصة شائعة الاستعمال، وتقتبس كثيراً في لغة المعاصرين.

٤-التمييز بين الاستعمال العام، والاستعمال الخاص.

٥-التمييز بين الكلمات المستقرة في المعاجم القديمة وتلك المولّدة أو المستحدثة التي دخلت اللغة مؤخراً.

٦-تمييز كلمات معينة للتحذير من استخدامها؛ إما لأنها محظورة ؛ أو سوقية أو مبتذلة[1].

ثالثاً: المنجد في اللغة العربية المعاصرة لصبحي حمودي وآخرين (دار المشرق) وقد اختص المعجم بالألفاظ المعاصرة فقط.

---

(١) المكنز الكبير / ص ١٧ – ١٨ .

وبناءً على ما جاء في الدراسة التي يقوم بها ابننا الأستاذ علي محمود الصراف المعيد بقسم اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب جامعة الكويت في رسالة الماجستير المعدة بدار العلوم جامعة القاهرة أورد البيانات التالية الخاصة بالكلمات المستحدثة في المعاجم الحديثة كما يأتي:

١- المعجم الوسيط: أورد ١٧٩٠ لفظة محدثة من مثل : الحضانة، الحضارة ، الأشعة السينية ، المشرحة الخ.

٢- معجم المكنز الكبير: أورد ٩٣٨ لفظة محدثة من مثل: متمدّن، ليبرالي، درن، خصوبة ، معاصرة.

٣- المنجد في اللغة العربية، وأورد ما مجموعه ٥٠٩٦ لفظة محدثة، منها ١١٤١ لفظة علمية تختص بالعلوم التطبيقية والإنسانية. ومن الألفاظ المحدثة التي أوردها: سينمائي ، شخصانية ، شقيقيات ، شوكيات [١].

وهكذا نرى أن جهود اللغويين القدامى والمعاصرين لم تقف على الإطلاق، وإنما هي جهود متواصلة. وما ذكرناه يعد نماذج لهذه الجهود، أضف إلى ذلك المؤتمرات والندوات التي تقام من فترة إلى أخرى لمتابعة كل جديد متعلق بمناهج اللغة العربية بتفريعاتها المختلفة، لأن قضية تيسير النحو والصرف وغيرهما من

---

(١) انظر (الألفاظ المحدثة في المعاجم العربية المعاصرة) رسالة ماجستير (مخطوط) دار العلوم لعلي محمود الصراف.

المسائل دائمة الطرح للنقاش، وأنا شخصياً حضرت عدة مؤتمرات لهذا الغرض منها:

١- مؤتمر المناهج الذي عقد في الكويت سنة ١٩٧٢، وترأس فرع اللغة العربية الأستاذ الدكتور شوقي رئيس مجمع اللغة العربية حالياً.

٢- سنة ١٩٧٨ عقد قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة الكويت مؤتمراً خاصاً بهذا الشأن، وخرج بتوصيات مهمة جداً.

٣- في سنة ١٩٨٥ حضرت مؤتمر التعريب الخامس بعمّان في المملكة الأردنية الهاشمية، وتحت مظلة مجمع اللغة العربية الأردني وناقش المصطلحات العلمية المستخدمة في جميع التخصصات وخرج بتوصيات مهمة جداً ظلت محور النقاش في المؤتمرات التالية الخاصة بقضية التعريب.

٤- في سنة ١٩٩٤ حضرت مؤتمر النحو العربي بدمشق ممثلاً لجامعة الكويت، وخرج المؤتمر بتوصيات مهمة تبنتها الحكومة السورية الشقيقة بكل قوة لتنفيذها. وهي كلها منصبة في هذا المجال مجال النحو والصرف واللغة ، ومسايرتها التطور المنشود، لكن لم ينادِ أحد بهجران التراث اللغوي الذي هو سمة الأمة.

قضية الاشتقاق الصغير:

وإنما أشير إليها لأنها من أكثر القضايا اتصالاً بمسألة التحديث والتطور في اللغة.

والاشتقاق الصغير أو العام كما يسميه اللغويون المحدثون، وهو أكثر أنواع الاشتقاق دوراناً في اللغة العربية، ويحتج به لدى أكثر علمائها، وهم يعرفونه بأنه أخذ صيغة من أخرى مع اتفاقهما معنى ومادة أصلية، وهيئة تركيب لها لبدل بالثانية على معنى الأصل بزيادة مفيدة لأجلها حروفاً أو هيئة كضارب من ضَرَبَ، حَذِرٌ من حَذَر[1].

ويتضح من هذا التعريف الشروط التي يجب توافرها عند إجراء العملية الاشتقاقية، وهي:

١- اشتراك الألفاظ المشتقة في المادة الأصلية أو الجذر

٢- التزام هذه الصوامت الأصول ترتيباً واحداً في جميع الصور الاشتقاقية.

٣- اتفاق الألفاظ المشتقة في فكرة عامة تربط بينها.

ويوفر النظام الصرفي للعربية الفصحى عددا غير قليل من الصيغ أو الجذور، فينتج كلمات اشتقاقية تجمع في دلالاتها بين دلالة الصيغة، وبين الدلالة المعجمية أو الاجتماعية.

موقف العلماء من الاشتقاق الصغير:

اختلف اللغويون القدامى في وقوع الاشتقاق، فبعضهم أنكر وقوع الاشتقاق بأنواعه زاعمين أن الكلم كله أصل وليس منه شيء مشتق من شيره.

---

(١) المزهر للسيوطي ١ / ص ٣٤٦.

وبعضهم توسع في ذلك ، فذهب إلى أن الكَلِم كله مشتق، بينما ذهب الخليل وأبو عمر وبن العلاء وسيبويه وغيرهم إلى رأي يتفق وطبيعة اللغة، فقالوا:"بعض الكلم مشتق وبعضه غير مشتق".

كما اختلفوا في القياس عليه [١]. فابن فارس يرى أنه لا قياس على كلام العرب في الاشتقاق وان كل كلام العرب توقيف. وأيده في ذلك نظام الدين النيسابوري [٢].

(مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة الجزء ٤ من المقال للشيخ الاسكندري عن جمع التكسير / ص ١٨١) [٣].

ومن العلماء من لا يلتفون إلى هذا الرأي، وإنما يشتقون وينصرفون في اللغة كما اشتق العرب وتصرفوا [٤].

أما المحدثون فإنهم لم يترددوا في الدعوة إلى الاشتقاق والتوسع فيه، والإفادة من جميع طرائقه وضروبه. والمبدأ الذي يحكم عمل المجمع في هذا المجال هو أن ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب. وقد حرص منذ بداية أعماله على الإفادة من الاشتقاق بجميع طرائقه تبعاً لأقيسة العربية وقواعدها، وذلك من خلال مجموعة من الأسس لعل من أهمها:

---

(١) انظر الزهر ١ / ٢٤٨.

(٢) انظر الصاحبي في فقه لابن فارس / المكتبة السلفية / ص ٣٣.

(٣) انظر مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ج ٤ / ١٨١ .

(٤) انظر الخصائص لابن جني ١ / ٣٦٢ .

١- تكملة فروع المادة اللغوية التي ورد بعضها في المعجمات ولم ترد بقيتها.

٢- الاشتقاق من أسماء الأعيان.

٣- تحديد معاني بعض الصيغ الصرفية وإقرارها.

وهناك قضايا اشتقاقية كثيرة ناقشها مجمع اللغة العربية بالقاهرة. سأذكر جزءاً منها مقترنة بالأجزاء الواردة فيها، من مثل:

- اسم الآلة : محاضر دور الانعقاد الأول/ ص ٣٧١ وما بعدها ، مجموعة القرارات العلمية / ص ١٧٦، مجموعة المصطلحات العلمية مجلد ٢٢/ص ٤١ [١].
- اسم المكان: انظر مجموعة القرارات العلمية /ص ٥٨ [٢].
- لحوق التاء باسم المكان: مجموعة القرارات العلمية /ص ٥٧.
- اشتقاق اسم المكان من الثلاثي الأجوف المعتل بالياء [٣]، ومجموعة القرارات العلمية/ص ١٣. وانظر المصطلحات العلمية/ المجلد العشرون/ص ٢٥. ومجموعة المصطلحات العلمية / المجلد الخامس/١٠٧.

---

(١) انظر مجموعة المصطلحات العلمية مجلد ٢٢ / ص ٤١.

(٢) انظر مجموعة القرارات العلمية / ص ٥٨ ، وانظر الكتابة لسيبويه ج ٤ / ٩٤ ط هارون.

(٣) انظر سيبويه / هارون ج ٢ / ٢٤٨، وشرح الشافية للرضي ج ١ / ٢٨٥ ، ومجموعة القرارات العلمية ص / ١٣.

- الصيغ الدالة على المرض: مجموعة القرارات العلمية/ ص ١١٨ [١].
- الصيغ الدالة على ما يُتعاطى من الدواء وغيره [٢].
- الصيغ الدالة على الحرفة [٣].
- الصيغ الدالة على التقلب والاضطراب [٤].
- الصيغ الدالة على الصـــوت [٥].
- الصيغ الدالـــة علـــى التكبـــير والمبالغـــة [٦].
- الأخذ بالمجـــاز فـــي الترجمـــة [٧].

---

(١) انظر سيبويه ٤ / ١٠، وشرح التصريح على التوضيح ٢ / ٧٢ ، وشرح الشافية ١ / ١٥٤.

(٢) انظر حاشية الشيخ ياسين على شرح التصريح ٦٧/٢ وشرح الشـــافية للرضـــي ١٤٨/١، وشرح الأشموني ٣٥٦/٢ وارتشاف الضرب لأبي حيان ٧٥/١

(٣) مجموعة القرارات العلمية / ص ١١٣.

(٤) انظر مجموعة القرارات العلمية/ ص ١١٤ ، ص ١١٧. وانظر سـيبويه ١٤/٤ ، وشرح الشافية للرضي ١٥٦/١.

(٥) انظر مجموعة القرارات العلمية/ ص ١٢٠. وشرح الشـــافية ١٥٥/١ ، وشـــرح التصريح ٧٤/٢.

(٦) انظر ٨٤/٤ وانظر شرح الشافية ١٦٧/١ ، وشرح المفصل ٥٥/٦ و مجموعـــة القرارات العلمية/ ص ١٢١.

(٧) انظر " المصطلحات بين المحدثين وتطور اللغة العربية في العصر للدكتور حلمي خليل / ١٠٩. انظر نص اللائحة في المجلة ١/ص٢٢" .

أصل القضيـــة:

ما من شك أن لكل علم طبيعتـــه وأصولـــه التـــي بنـــي عليـــها والنحو العربي من العلوم الجافـــة، لكنـــه علـــم مبنـــي علـــى مخاطبـــة العقل، وعلم لـــــه أصولـــه الثابتـــة القائمـــة علـــى الاســـتقراء الدقيـــق للمســـائل.

لكن عند وضع مناهجه للنشء لابد مـــن مراعـــاة تجنيبـــه مـــن التعقيـــدات والتفريعـــات، والمســـائل الجانبيـــة التـــي تـــترك لأهـــــل الاختصاص. وقد أحس القدماء بطبيعـــــة هـــذا العلـــم. يقـــول الدكتـــور محمد حسن عبد العزيز في تعليقه على "ستتكفيتش" لـــم تكـــن الشـــكوى من النحو حديثة العهد، ولم تكن محاولات تيســـيره كذلـــك كمـــا يزعـــم المؤلف، فالشكوى من النحو تعـــود إلـــى أيامـــه الأولـــى، فقـــد ضـــاق الناس قديماً به، وهذا هو الجاحظ يقـــول فـــي (الحيـــوان) قلـــت لأبـــي الحسن الأخفش: أنت أعلم الناس بالنحو، فلم لا تجعـــل كتبـــك مفهومـــة كلها؟ وما بالنا نفهم بعضاً ولا نفهم أكثرهـــا؟ ومـــا بـــالك تقـــدم بعـــض العويص، وتؤخر بعض المفهوم؟ قال : أنا رجل لم أضـــع كتبـــي هـــذه لله ، وليست هي من كتب الدين، ولـــو وضعتـــها هـــذا الوضـــع الـــذي تدعو إليه قلت حاجتهم إلى فيه" (انظر العربيـــة الفصحـــى الحديثـــة[1] / ص ٢٠٢).

ويقول : "وقد كتب في مجال التيسير قديمـــاً خلـــف الأحمـــر (ت ١٨٠هـــ) كتابه "مقدمة في النحو" ، وكتب أبـــو علـــي الفارســـي كتابـــه

---

(١) انظر الحيوان (ج ١/٩١-٩٢).

"الإيضاح" وكتب الزجاجي كتابه "الجمل" ، وكتب الزبيدي كتابه "الواضح في علم العربية" كما كتب أبو جعفر النحاس رسالة صغيرة سماها "التفاحة في النحو" اشتملت على مبادئ النحو وقواعده الرئيسية في صورة موجزة طرح فيها خلافات النحويين، واعتمد فيها على اللغة الأدبية المشتركة، وحذف الشواهد ، ولم يذكر أسماء النحاة [١] .

أي أن جهود العلماء بدأت منذ العصر الأول لتيسير هذا العلم وجعله في خدمة طلبته، ولم يكونوا حجر عثرة أمام تطويره.

وبعد الحرب العالمية الأولى ارتفعت أصوات جهرت بصعوبة القواعد اللغوية وبالوسائل العقيمة لتعليمها، ومن بين هذه الأصوات ، ومن أكثرها إلحاحاً جبران خليل جبران وميخائيل نعيمة وسلامة موسى ومحمد حسين هيكل وطه حسين [٢].

كما ظهر مصطفى جواد في العراق، وبدأت الكتب الدراسية والمباحث اللغوية الداعية إلى التيسير بالظهور، حتى أن الكاتب المعروف أحمد أمين اقترح اصطناع لغة عربية خالية من الإعراب وخالية من الألفاظ الضخمة، ومستعملة للكلمات العامية التي هي أيضاً عربية، ومحررة خرفشة العامية، وهذه اللغة الجديدة ستكون بحق وسطاً بين العامية والفصحى.

كما ظهرت كتب معاصرة تنادي بتيسير النحو ككتاب النحو المنهجي لمؤلفه الأستاذ محمد احمد برانق، وإحياء النحو

---

(١) (المرجع السابق/ ص ٢٠٢-٢٠٣).

(٢)المرجع السابق /ص ١٨٣.

لإبراهيم مصطفى وكتب الدكتور شوقي ضيف، وكتاب الدكتور عبد الرحمن أيوب "دراسات نقدية في النحو العربي" ، وكتاب الدكتور مهدي المخزومي "في النحو العربي" (١).

وفي المقابل قامت مدرسة أخرى لدعاة الإصلاح ترى أن المنهج الوحيد القابل للاستخدام لتحسين وإغفاء اللغة هو العودة إلى الإعراب وإلى نظام المحكم في الكلام وفي الكتابة ويأتي على رأس هذا الاتجاه رفاعة الطهطاوي.

وخلاصة الكلام أننا مع التيسير وتغيير النصوص حسب مقتضيات المنهج، ومع تغيير طرائق معالجتها كلما اقتضت الضرورة ذلك مع المحافظة على أصول العربية من نحو وصرفٍ وبلاغة وإملاء وغير ذلك ، والترخص ضمن هذه الأطر التي لا تزيل الأصول وأما الدعوة إلى قطع اللغة عن التراث وعن القرآن الكريم فتلك والله دعوة عجيبة إذ هما مترابطان ترابطاً مقدساً لا انفكاك بينهما أبداً، ثم إننا لماذا نهجر تراثنا العريق ونمنع الأجيال من الاستزادة منه، وغيرنا من الأمم نفخر بتراثها وحضارتها؟ فمازالت الهند والصين وإيران واليونان تفخر بتراثها، وما زالت أعمال شكسبير موضع فخر واعتزاز لبريطانيا، وما زالت أعمال العلماء والكتاب والفنانين موضع تقدير واحترام من بلدانهم، فلماذا إذن هذه الدعاوى التي لا تنتهي ضد التراث الإسلامي العربي، ومطالبتنا بهجره والابتعاد؟ عنها حقاً دعاوى غريبة.

---

(١) المرجع السابق / ص ١٩٠.

قائمة مصادر البحث ومراجعه

١- ابن جني: أبو الفتح عثمـــان:-

الخصائص . مطبعة دار الكتب المصريـــة سـنة ١٩٥٥.

بتحقيق محمد علي النجـــار.

٢- ابن فارس، أبو الحسين أحمـــد.

الصاحبي في فقه اللغة - المكتبة الســـلفية. القـاهرة ١٩١٠م.

٣- ابن هشام الأنصاري، أبو محمد عبـــد الله جمـال الديـن - مغنـي اللبيب عن كتب الأعـــاريب.

تحقيق مازن المبارك وزميله، دار الفكـــر، بـيروت ١٩٧٩م.

٤- ابن يعيش، موفق الدين يعيش بـــن علـــي.

شرح المفصل - إدارة الطباعـــة المنبريـــة.

٥- أبو حيان، محمد بن يوسف بـــن علـــي.

ارتشاف الضـــرب.

تحقيق د. مصطفى أحمد النماس طبعـــة أولـــى ١٩٨٤ م.

٦- أحمد مختار عمر (دكتـــور).

المكنز الكبـــير - الطبعـــة الأولـــى (٢٠٠٠ الريـــاض) شـــركة سـطور.

٧- الأزهري – الشيخ خالد بن عبد الله.

شرح التصريح على التوضيح – ط الحلبي.

٨- الأشموني، أبو الحسن ، نور الدين علي بن محمد. شرح الأشموني على ألفية، ابن مالك [دار إحياء الكتب العربية [مع حاشية الضبان].

٩- الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر.

الحيوان ، المطبعة الحميدية سنة (١٣٢٣ هـ).

١٠- حلمى خليل (دكتور).

العربية وعلم البنيوية – دار المعرفة الجامعية سنة ١٩٨٨.

١١- الرضي – محمد بن الحسن الاستراباذي.

شرح الشافية – تحقيق محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف.

ومحمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الفكر العربي سنة ١٩٧٥م.

١٢- ستتكينفتش، جاروسلاف.

العربية الفصحى الحديثة، ترجمة وتعليق الدكتور محمد حسن عبد العزيز ، دار الفكر العربى القاهرة سنة ١٩٨٥.

١٣- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان.

الكتاب -

تحقيق الأستاذ عبد السلام محمد هارون .

الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٧م.

١٤- السيوطي جلال الدين عبد الرحمن .

المزهر في علوم اللغة .

تحقيق محمد أحمد جاد المولى وآخرين - مطبعة عيسى الحلبي.

الطبعة الثانية - القاهرة ١٩٥٨م.

١٥- صبحي حمودي وآخرون: المنجد في اللغة العربية المعاصرة، دار المشرق، بيروت (٢٠٠٠ - ٢٠٠١).

١٦- المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد.

المقتضب، تحقيق الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة.

[المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - القاهرة ١٩٦٣ - ١٩٦٨م].

١٧- مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

- مجموعة القرارات العلمية.

- مجموعة المصطلحات العلمية

- المعجم الوسـيط.

١٨- محمد عبد الخالق عضيمـــة.

فهارس كتاب ســيبويه.

الطبعة الأولى ســنة (١٣٩٥ هـــ - ١٩٧٥ م).

مطبعة السعادة - القـــاهرة .

الدوريات والرسائل العلميـة .

١- علي محمود الصـــراف.

الألفاظ المحدثـــة فـي المعـاجم العربيـة المعـاصرة رسـالة ماجستير (مخطوط) دار العلـــوم.

٢- عمر سعيد (دكتـــور).

جهود مجمع اللغة العربية بالقـــاهرة

رسـالة دكتـوراه - مخطـوط بجامعـة القـاهرة - كليـة دار العلـوم (١٩٩١).

٣- مجلة مجمع اللغة العربية بالقـــاهرة.